

أضواء البيان

@ 517 @ يَرَوِ الْوَسْطَ الْأَرْضِيَّ خَلَقْنَاهُ لَهُمْ سَبْعًا عَمَلَاتٍ أُبْدِرِينَآ أَنْزَعَامَا
 فَهَمْ لَهَا مَا لِكُونِ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
 يَأْكُلُونَ * ! 7 وكذلك في خصوصها في قوله : { وَاللَّهُ نَزَعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ
 فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعًا فِعْ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
 تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّسَمِ
 تَكُونُوا بِالْغَيْبِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ } .

إنها نعم متعددة ومنافع بالغة لم توجد في سواها ألبتة ، وكل منها دليل على القدرة
 بذاته . أما الجبال فهي مما يملأ عيونهم في كل وقت ويشغل تفكيرهم في كل حين ، لقربها من
 حياتهم في الأمطار والمرعى في سهولها ، والمقيل في كهوفها وظلها ، والرهبنة والعظمة في
 تناولها وثباتها في مكانها . وقد وجه الأنظار إليها أيضا في موطن آخر في قوله تعالى :
 { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ رُضًا مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } ، ثوابت ، كما بين
 تعالى أنها ، رواسي للأرض أن تميد بكم { وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ
 وَلَا نَزَعَامَكُمْ } . فهي مرتبطة بحياتهم وحياة أنعامهم كما أسلفنا .
 أما السماء ورفعتها أي ورفعتها في خلقها وبدون عمد ترونها وبدون قطور أو تشفق على
 تناول زمنها ، فهي أيضا محط أنظارهم ، وملتقى طلباتهم في سقيا أنعامهم . .
 ومعلوم أن خلق السماء والأرض من آيات الدالة على البعث ، كما تقدم مرارا . .
 وتقدم للشيخ عند قوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًا } . بيان
 كونها آية . أما الأرض وكيف سطحت ، فإن الآية فيها مع عمومها كما في قوله : { لَخَلْقُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًا أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } . .
 وقوله : { كَيْفَ سَطَّحَتْ } آية ثابتة ، لأن جرمها مع إجماع المفسرين على تكويرها ،
 فإنها ترى مسطحة أي من النقطة التي هي في امتداد البصر ، وذلك يدل على سعتها وكبر
 حجمها ، لأن الجرم المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حداً بعيداً يكاد سطحه يرى مسطحا
 من نقطة النظر إليه ، وفي كل ذلك آيات متعددة للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق
 ، وعلى إيقاع ما يغشاهم على مختلف أحوالهم . .
 وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه التنبيه على هذا المعنى ، عند الكلام على